مفهوم الحجاج في التراث البلاغي العربي

The Concept of Argumentation in Arabic Rhetorical Heritage

د .نجاح مدلل *

تاريخ الإرسال: 21 / 01 / 2021	تاريخ القبول: 22 / 05 / 2021	تاريخ النشر: 20 / 12 / 2021

الملخص:

لا تكاد تخلو كتب التراث العربي من تداول مصطلح الحجاج في عدة مجالات ؛ فقهية وفلسفية ولغوية وبلاغية ، وذلك راجع لما يعتري المصطلح من تداخلات واختلاف في وجهات النظر والتأويل ، ويهدف هذا المقال للكشف عن بعض التوجهات البلاغية لمفهوم الحجاج عند الجاحظ و السكاكي وابن وهب لأهمية هذا المصطلح لديهم وارتباطه بأهم مبحث بلاغي في الدراسات البلاغية العربية وهو مبحث " البيان ".

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الإقناع، البيان، الاستدلال، الجدل.

Abstract:

It stands to reason that the concept of argumentation goes frequently mentioned in many fiqhi , philosophical , linguistic and rhetorical fields . this stems from the fact that the concept of argumentation has been controversial due to its intersection with various areas and the different approaches and viewpoints that endeavor to interpret it . this paper investigates some of the rhetorical appropriations of the concept of argumentation as derived from al-jahiZ ,al-sakaki and ibn wahb highlighting the importance of this concept to them and asserting its affiliation whith the most important rhetorical field in Arabic rhetorical studies,id est, eloquence.

***Key words**: argumentation, persuasion ,eloquence ,inference , controversy .*

المؤلف المرسل: نجاح مدلل medellel-nadjah@univ-eloued.dz

* جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي **medellel-nadjah@univ-eloued.dz**

مقدمة:

يشكل الحجاج ضرورة انسانية يسعى من خلاله المحاجج أو المحاور لبسط آراءه واقناع الآخر وحمله على الاذعان لها ، ولأجل ذلك يعتبر استخدام العقل والفكر السليم مبدأ أساسيا في الايمان الصحيح والعلم والتفقه والفطنة والتدبر، وهذا ما تميز به أسلوب القرآن الذي يعتمد التفكير العقلي والبرهان والحجة لرد الرأي برأي أقوى منه ، والحجة بحجة أبلغ منها ، قال الله تعالى :" قل لله الحجة البالغة " (الأنعام 149).

ونظرا للأهمية البالغة لمصطلح الحجاج ، تناوله العديد من العلماء بالدراسة والتمحيص وخصصوا له كتبا ومباحث في شتى المجالات ؛ الفقهية والبلاغية والفلسفية واللسانية ، و تهدف هذه الدراسة للكشف عن أهم التوجهات البلاغية عند العرب القدامى لمفهوم الحجاج ، واخترنا لذلك اشهر علماء البلاغة كالجاحظ والسكاكي وابن وهب ، و فصل البحث في نظرتهم العميقة و اهتمامهم البالغ لمسألة الحجاج وربطه بأحد أبواب البلاغة العربية وهو البيان .

تتجسد مشكلة البحث في التساؤل عن نظرة البلاغيين القدامى لمفهوم الحجاج والمصطلحات التي تتعلق به ، وكيفية توظيفه قديما بحسب توجهاتهم البلاغية ، ومن هنا يمكن إبراز مشكلة البحث من خلال طرح التساؤل التالي :

ما هو مفهوم الحجاج لدى الجاحظ والسكاكي وابن وهب ؟.

وانطلاقا من هذه الإشكالية تتفرع عنها الأسئلة الفرعية التالية :

- ما هو منطلقهم البلاغي لتحديد مفهوم الحجاج ؟.
- ما هي حقيقة الربط بين مفهوم الحجاج لديهم وتوجهاتهم البلاغية ؟.
- ما هي أهم المصطلحات البلاغية المرتبطة بمفهوم الحجاج لديهم ؟ .

واعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في التعامل مع المفاهيم الخاصة بموضوع البحث وذلك بالاعتماد على البحوث والدراسات والكتب التي أتيح لنا الاطلاع عليها .

1. مفهوم الحجاج

1.1 لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711ه) : " حاججته .. أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ، ويقال حاجه محاجة وحجاجا ؛ نازعه الحجة ...ويقال أنا حاججته فأنا محاجه وحجيجه ؛ أي مغالبه بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان " [1]

أما ابن سيدة الاندلسي (ت 458هـ) فعرف الحجاج بقولة : " حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة من حججته الحجج التي أدليت بها ، والحجة البرهان ، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ، وقال الأزهري : الحجة الوجه الذي يكون الظفر عند الخصومة ، وجمع الحجة حُجج وحجاج ، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة ، وحجه يحجه حجا غلبه على حجته ، وفي الحديث : " فحج آدم موسى " ؛ أي غلبه بالحجة ، واحتج بالشيء اتخذه حجة، قال الأزهري : " إنما سميت حجة لأنها تحج ، أي تقصد ؛ لأن القصد لها وإليها. " [2]

ومن خلال التعريفين اتفق كل منهما على كون الحجاج يتمثل في الدليل والبرهان ، وهو أحد الوسائل التي تهدف للإقناع والتأثير على الآخر واستمالته للامتثال والتسليم بالرأي الآخر ، يتخذه المتكلم وسيلة الدفاع عن رأيه وفكره ، ويعد مفهوما قارا في الدراسات اللسانية التداولية حديثا ، ويسمى بالحجاج اللغوي .

2.1 اصطلاحا : تباينت نظرة الدارسين العرب لمفهوم الحجاج من قدماء ومحدثين ، وذلك بحسب اهتماماتهم الفلسفية والأصولية والبلاغية واللسانية ، وهو ما أدى الى ظهور العديد من التوجهات والمفاهيم التي أثرت الحقل المعرفي للحجاج ، ونذكر من بين التعريفات عند العرب المعاصرين ؛ ما أشار اليه طه عبد الرحمان بقوله :" أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة ، يحق له الاعتراض عليها "[3] ، ويظهر من هذا القول أن الحجاج خاصية انسانية نطقية تمتد من متكلم الى متلقي ، على أن يمتلك هذا المتلقي حق الاعتراض على ما تم قوله .

ويقرر عبد الله صولة تشعب مجالات الحجاج في قوله : " إذ أننا نجد بعضهم يرى أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما : أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق، وبذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال ، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على اذعان السامع أو القارئ "[4].

أما أبو بكر العزاوي فيرى أن الحجاج في عمومه يتعلق بالبحث في القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تتابع الأقوال وتسلسلها بشكل متنام وتدريجي ، ليتمثل الحجاج باختصار في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ضمن سياق البحوث الرامية

لاكتشاف منطق اللغة [5]، بمعنى أن الحجاج هو عبارة عن متوالية قولية إنجازية تتألف من حجج لغوية ونتائج .

وقد آثر البحث الحديث عن التوجه البلاغي في التراث العربي لدى أشهر بلاغيي العرب القدامى ، وذلك لاعتباره الركيزة الأساسية التي نسج على منوالها المحدثون، ونذكر منهم بالخصوص ؛ الجاحظ و السكاكي وابن وهب ، وهذا تفصيل لما جاء عند كل منهم حول نظرته للحجاج .

2. الحجاج في التراث البلاغي العربي

1.2 الحجاج عند الجاحظ (ت 255هـ):

برز مفهوم الحجاج عند (الجاحظ) من خلال كتابه (البيان والتبيين) ، الذي سعى فيه الى تأسيس بلاغة تقوم على الاقناع ومنطلقها الخطاب اللغوي الشفوي ، وقد ربط مفهوم البيان بالحجاج كاشفا عن قيمته الحجاجية ملخصا لأصوله وأدواته وغاياته .

ويعرف مصطلح (البيان) بقوله : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[6].

وورد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم في قوله تعالى :" الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان " (الرحمن : 1-2)، وفي قوله تعالى أيضا : " هذا بيان للناس " (آل عمران : 138) .

واستدل (الجاحظ) بالقرآن الكريم ليؤصل لمفهوم البيان ، محاولا ربطه بالحجاج ومستدلا على ذلك بقصة موسى عليه السلام مع فرعون ، يقول الجاحظ : " وسأل الله عز وجل موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ حين بعثه الى فرعون بإبلاغ رسالته ، والإبانة عن

حجته ، والإفصاح عن أدلته " [7]، ومن هنا يتضح اهتمام (الجاحظ) بالبيان القرآني الحجاجي ووقوفه على وجوه اعجازه وتحدي الله للعرب بأن يأتوا بمثله ، ومن هنا تبرز علاقة البيان بالحجاج .

ويقترن مفهوم البيان بالبعد الحجاجي عند (الجاحظ) من خلال الخطاب الذي يؤدي وظيفتي الإفهام والإقناع ، وهو ما سنوضحه :

1.1.2 وظيفة الإفهام : وتتضح من خلال قوله : " مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان "[8] ، ويفهم من كلام (الجاحظ) أن البيان يتمثل في طياته بعدا اجرائيا تداوليا ، ويقودنا تصوره للفهم والإفهام الى العناية بالعملية التخاطبية وطرفيها (المتكلم ـ المخاطب) وكذلك الأدوات الاجرائية التي بها يتحصل البيان والإفهام ، وذلك كله في إطار الوظيفة التواصلية للغة .

وبناء عليه فإن الإنجاز الكلامي لا يكون عبثيا ، بل يرتبط بمقاصد وغايات تمثل الحبل (الرابط) الذي يصل المتكلم بالسامع ، مما يعني أن الكلام يقوم في الحقيقة على مفهوم الوظيفة التي تعد شرطا لأي تبليغ لغوي.[9]

وأدوات البيان ووسائل الإفهام عند (الجاحظ) تتجاوز اللفظ الى كل " وسائل التعبير الممكنة بين البشر ، ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى ، بقطع النظر عن العلامة المستخدمة ، وهذا معنى عام يتسع للغة وغيرها "[10] ، وهي أدوات إجرائية يتحصل بها البيان والإفهام وقد ذكرها (الجاحظ) في عرضه لأنواع الدلالات وهي(اللفظ ، الاشارة ،العقد ، الحال ،النصبة).

2.1.2 وظيفة الإقناع: إن للكلام المقنع تأثيرا بالغا على النفوس ، إذ من خلاله تتحقق الاستمالة والتأثير في المخاطب ، وكان (الجاحظ) مدركا لذلك ، والمتأمل لكتابه (البيان والتبيين) يجده يورد نصوصا حول الإقناع ، فيستحضر بذلك قصة موسى مع فرعون حين استبد به الخوف والتهيب من لقاءه ، فالتمس من ربه التأييد بالقول المقنع الذي به يتحصل التصديق [11] ، فقال : " وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني "

(القصص 34) ، وقال : " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " (الشعراء 13)، ثم يعلق الجاحظ قائلا : " رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة ، لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع "[12] ، ووظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار و الإفصاح والكشف عما في الصدور والإبانة عن المعاني ومن ثم الوصول الى الإقناع ، وفي ذلك يستشهد (الجاحظ) بقول بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني : " المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم ، المختلجة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة في فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه وخليطه ، ولا معنى شريكه المعاون له على أموره ، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ، وإنما يـ□ي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم لها ، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم ، وتجلها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهرا ،والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا ، والمجهول معروفا ، والوحشي مألوفا ، والغفل موسوما ، والموسوم معلوما ..." .[13]

2.2 الحجاج عند السكاكي (ت626هـ):

تتجلى إسهامات (السكاكي) في الحجاج من خلال كتابه الموسوم بـ(مفتاح العلوم) ، حيث أفرد فيه عنوانا اسمه (لكل مقام مقال) ، يقول فيه :" لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ...ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر "[14] .

ومن كلام (السكاكي) نلحظ اهتمامه بفكرة (مقتضى الحال) فجعل منها أساسا لمعرفة قصد المتكلم من خطابه فيعبر عنه بـ□سب مقتضى الظاهر مع مراعاة شخص المخاطب من خلال قوله : (مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر)، والمقام هو الذي يضمن سلامة المعنى وتـ□قق الفائدة لدى السامع ، فالملاحظ في المقام الذي يقدمه (السكاكي) أنه تجاوز مطابقة الخطاب مع الموقف

الخارجي الى الانسجام المقامي الداخلي في علاقة المكونات اللغوية بعضها ببعض ، وفي ذلك يقول : " ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام ..."[15] .

وتتبدى عناية (السكاكي) بفكرة مقتضى الحال أو المقام من خلال ربطه الصياغة اللغوية (صرفية ونحوية) بالسياق والمقام [16] ، مما جعل مقياس الكلام عنده في باب الحسن والقبول ، بحسب مناسبة الكلام لما يليق به مقتضى الحال ؛ " فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم ، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة ، وإذا كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه ، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب ، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره ، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نقله على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها "[17].

ومن خلال حديث (السكاكي) حول حسن الكلام وعدم حسنه ، ومطابقته للمقام وعدم مطابقته ، يدخل في صميم الاستراتيجية الاقناعية للخطاب ، ويظهر البعد الحجاجي أكثر عند (السكاكي) في تعريفه للبيان بقوله : " وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه " [18] ، وقد جعل لعلم البيان أبوابا أو موضوعات ثلاثة رئيسية : التشبيه ومنه التمثيل ، والمجاز ومنه الاستعارة ، والكناية ،ولكل منها أنواع وأقسام، وما يمكن قوله أن لأبواب البيان وظائف حجاجية منها : حجاجية التشبيه وحجاجية الاستعارة وحجاجية الكناية ، ومصطلح المستدل عند (السكاكي) هو ما يقابل المحاجج في البحث الحجاجي [19] .

نستنتج من ذلك أن (السكاكي) استخدم المنطق في الربـ بين المعاني عن طريق تفعيل آلية الاستدلال عند ممارسة أي أسلوب من أساليب البيان ، فالأساليب البيانية ذات طبيعة حجاجية استدلالية ، إذ يعد الصورة البيانية مقدمة كبرى تؤدي في نهاية الأمر الى استنتاج .[20]

والواضح أن ما أراده (السكاكي) هو بيان أن الأساليب العربية والأساليب الاستدلالية تلتقي في نهاية التـليل عند آلية واحدة هي اللزوم ، ويـدد (السكاكي) لذلك جهتين : جهة الانتقال من الملزوم الى اللازم (وهو المجاز) ، وجهة الانتقال من اللازم الى الملزوم (وهي الكناية) ، ويقول في ذلك : " انصباب علم البيان الى التعرض للمجاز والكناية ، فإن المجاز ينتقل فيه الملزوم الى اللازم ، كما تقول : رعينا غيثا ، والمراد لازمه ، وهو النبت ... وإن الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم ، كما تقول : فلان طويل النجاد ، والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد ..."[21] .

فبلاغة السكاكي تواصلية اقناعية ، فالكلام عنده يتـدد بطبيعة المقام ومطابقته لمقتضى الحال بمراعاة سياقات الخطاب وأحوال المتخاطبين ، وبمراعاة المقاصد يمنـها صبغة تداولية ، وكذلك باعتماده الربـ الاستدلالي العقلي يكون قد أخرج البيان من دائرة الزخرف الفني الى استراتيجية قائمة على الاقناع ، تعتمد روابـ وعوامل حجاجية تتماشى مع ما طرحه دارسو الحجاج حديثا .

3.2. الحجاج عند ابن وهب (ت 355هـ):

إن منطلق الحجاج والاحتجاج عند (ابن وهب) عقلي بـت ، فهو يركن في ذلك الى إعمال الفكر والعقل واعتبارهما حجة الله على خلقه ، ودليلهم الى معرفة وجوده ، وقد ربـ (ابن وهب) مسألة الحجاج بوجوه البيان ، وحدد أربعة أوجه للبيان تظهر فيها ملامح الحجاج ، نبينها كالتالي:

1.3.2 بيان الاعتبار: فالأشياء تبين بذواتها ، وإن لم تبين بلغاتها ، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر، وبعض معانيها **ظاهر** لا يحتاج الى اعمال الفكر، فيدرك بالإحساس كاستشعار برودة الأجسام أو سخونتها، وتمييز الأصوات المختلفة أو غيرها ، كما يمكن أن يدرك بالنظر العقلي ، كتبيّن أن الزوج خلاف الفرد . وبعضه **بالن** محتاج الى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، والمتمثل في: القياس أو الوقوف على أحكامها من جهة الخبر.[22]

وإذا كان الحجاج ينبني على مقدمات تنتهي بنتائج ، فإن القياس عنده بمثابة نتيجة لقول تقدم ، ويشمل كل من التمثيل والتشبيه ، وهو يختلف هنا مع المناطقة الذين يرون وجوب وجود مقدمتين فأكثر حتى يتم القياس ، ويرون أن ذلك من لغة العرب ، مثل قولنا :[23]

إذا كان الحي حساسا متحركا(مقدمة) ⟵ الانسان حي (نتيجة).

والنتائج عنده ثلاث [24]:

- الأولى **برهان** صادر عن قول مسلم في العقل لا خلاف فيه، مثل قولنا : الزوج مركب من عددين متساويين ، فالأربعة أزواج .

- والثانية **اقناع** صادر عن قول مشهور مختلف فيه ، وصحة النتيجة في هذه الحالة تأتي بالاحتجاج لمقدمتها ، وذلك مثل قولنا : إذا كان الحق باري واجبا علينا ،فقد وجب حق الوالد أيضا ، فيجب اقناع المخاطب أو لا بصدق المقدمة حتى تصح عنده النتيجة .

- والثالثة **مغالطة** وهي التي تصدر عن قول كاذب ، والخبر الذي هو نتاج قياس سابق ، وأصبح من المسلمات التي تفيد العلم وتزيل الشك .

وما يمكننا قوله في هذا النوع من البيان ، أن المقصود منه هو تأثير الموجودات ومشاهد الطبيعة على قلب الانسان وعقله ، فتعدل من اعتقاداته أو تثبتها ، وتلك حجج ظاهرة ، وأخرى باطنة تستنبط بالقياس والخبر .

2.3.2 بيان الاعتقاد : وهو نتيجة البيان الأول ، ويحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، فما ثبت من معاني أضحت من الاعتقاد ، وله ثلاثة أضرب[25] :

- **حق لا شبهة فيه** ؛ وهو علم اليقين الذي يظهر عن مقدمات قطعية ظاهرة للعقل مسلم بها عند الجميع .

- **علم مشتبه فيه** ؛ يحتاج الى تقوية وتثبت بإقامة الحجة على صحته ، والاستدلال عليه بحجة اقناع لا برهان.

- **باطل لا شك فيه** : وهو ما ظهر عن مقدمات كاذبة ، مخالفة للطبيعة مضادة للعقل .

ووجه الحجاج في هذا النوع من البيان يكمن في الضرب الثاني منه ، لأن الأول قطعي الثبوت لا يحتاج لدليل ، والثالث باطل لا يصح الاحتجاج له ، والحجاج إنما يجب لتقوية الضرب الثاني " علم مشتبه فيه " وحججه تكون من قبيل الاقناع لا البرهان ، بمعنى أنها غير ملزمة لمن صحت عنده .

3.3.2 بيان العبارة : وهو البيان بالقول (النطق باللسان) ، فبيان الاعتقاد يقر في قلب صاحبه ، وباللسان يفصح عنه ، فهو أعلم وأنفع لاشتراك الانسان فيه مع غيره ، ويختلف باختلاف اللغات ، ومنه ظاهر ، ومنه باطن محتاج الى التفسير والتأويل ، ويتوصل إليه بـ: القياس والنظر والاستدلال والخبر .[26]

4.3.2 بيان الكتاب : فاللسان مقصور على الشاهد زمانا ومكانا ، والقلم ينطق في الشاهد الغائب ، ويتعدى حدود الزمان والمكان ، ناقلا وحافظا للعلم والحكمة . والكتاب عند (ابن وهب) خمسة ؛ كاتب خبر ، كاتب عقد ، كاتب حكم ، كاتب تدبير، كاتب لفظ .[27]

وأوجه البيان عنده ؛ ظاهر لا يحتاج لبيان واحتجاج ، وآخر باطن يكشف عنه بالحجج والاقناع ، ويستبعد البرهان من ذلك ، فالحجج عنده إما تكون من قبيل القياس الذي يشمل التشبيه والتمثيل ، أو الخبر الذي منه يقين ومنه تصديق ، وبذلك يكون الحجاج ركن أساس في بيان (ابن وهب).

والملاحظ فيما ذكرناه أن (ابن وهب) قد استكمل جهود (الجاحظ) في مبحث البيان ، كما ركز على مصطلح الجدل في بابي (الجدل والمجادلة) و (أدب الجدل) ، وما تضمناه من مباحث ، له علاقة وطيدة بمفهوم الحجاج حديثا ، وهو بذلك يطابق بين مصطلحي

الحجاج والجدل ، وفي تعريفه للجدل يقول : " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ، ويستعمل في المذاهب والديانات ، وفي الحقوق والخصومات ، والتنصل في الاعتذارات ، ويدخل في الشعر والنثر ".[28]

كما يركز (ابن وهب) على مسألة الاقناع المتصل بالجدل ويرى بأنه اقناع ناتج عن تعليل ، وفي ذلك يقول : " وقد قلنا : إن الجدل إنما يقع في العلة من بين سائر الأمور المسؤول عنها"[29]، ذلك أن العلة هي مدار الخلاف بين المتجادلين في أكثر الأمور المسؤول عنها .كما فصل الجدل الى مـ ـمود ومذموم ، فإذا كانت غايته الحق والفضيلة كان مـ ـمودا ، وإذا كانت غايته المماراة والغلبة كان مذموما ، ولم يكتف بذلك بل تعدى الى الحديث عن أدب الجدل ، وذكر أهم الشروط التي يجب أن تتوافر في المجادل أثناء المجادلة ، ونذكر منها [30]:

- أن يجعل المجادل قصده الحق ، وبغيته الصواب ...

- ألا يسحره الكثرة والقلة فيما يطلبه من الحق ، فيقلد الأكثرين ، أو يريد التكثر بهم والترؤس عليهم بمتابعتهم .

- وأن يخرج من قلبه التعصب ... وألا يقبل من ذي قول مصيب فيه ، كل ما يأتي به لموضع ذلك الصواب الواحد ، ولا يرد على ذي قول مخطئ فيه كل ما يأتي به لموضع ذلك الخطأ الواحد ، بل لا يقبل قولا إلا بحجة ، ولا يرده إلا لعلة ...

- وألا يعجب برأيه ... وأن يتجنب الكذب في رأيه ...

- وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر .. وأن يكون منصفا وغير مكابر ...وأن يـ ـلم عما يسمع من الأذى والنبز ، ولا يشغب إذا شاغبه خصمه ، ولا يرد عليه إذا أربى في كلامه ، بل يستعمل الهدوء والوقار ...

3. خاتمة:

أخيرا ، لقد استطاع كل من(الجاحظ) و (السكاكي) و (ابن وهب) إخراج البلاغة من شرنقة التـ ـسين الأسلوبي والزخرف الفني للكلام لربطها بالبعد الحجاجي ، أما (الجاحظ)

فقد ربـ مفهوم الحجاج بالبيان من خلال الخطاب الذي يؤدي وظيفتي الإفهام والإقناع ، وأما (السكاكي)فقد ربـ مفهوم الحجاج بالبيان القائم على الاستدلال العقلي القائم بدوره على الإقناع ، أما (ابن وهب) فقد ربـ مفهوم الحجاج بالبيان ، وجعل له وجوها منها ما هو ظاهر لا يـتاج لتبيين ، وباطن يكشف عنه بالحجج والإقناع . إذا يرتبـ مصطلح الحجاج في التراث البلاغي ربطا وثيقا بمصطلح البيان القائم أسسه على الإقناع .

4. الهوامش:

1 ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، مجلد 2 ، لبنان ، مادة (حجج) .

2 ابن سيدة ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية ، لبنان ، مادة (حجج).

3 طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان والتكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، الدار البيضاء ، 1998 ، ص 213 ،

4 عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن ، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة ، ط1 ، تونس ، 2001 ، ص 8 .

5 أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع ، (دط) ، الدار البيضاء، 2006 ، ص 8 .

6 الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، ط7 ، القاهرة ، 1998 ، ج 1 ، ص 76 .

7 الجاحظ ، المرجع نفسه ، ج 1 ،ص 7 .

8 الجاحظ ، المرجع نفسه ، ج 1 ،ص76.

9 عبد اللطيف عادل ، بلاغة الاقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ، ط1، بيروت ، لبنان ، 2013 ، ص 63.

10 حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره الى القرن السادس ، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة ، ط2 ، تونس ، 1994 ، ص 157 .

11 عبد اللطيف عادل ، المرجع السابق ، ص 64 .

12 الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج 1 ،ص 7 .

13 الجاحظ ، المرجع نفسه ، ج 1 ،ص 75 .

14السكاكي ، مفتاح العلوم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2000 ، ص 256 .

15السكاكي ، المرجع نفسه ، ص 256 .

16باديس لهويمل ، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم ـ متابعة تداولية ، مجلة المخبر. أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ـ جامعة بسكرة ، الجزائر ، ع9 ، 2013 ، ص 167 .

17السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 256 ـ 257 .

18السكاكي ، المرجع نفسه ، ص 249 .

19عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية . دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، اربد علام الكتب الحديث ، ط1 ، الأردن ، 2014 ، ص 38 .

20 ينظر: جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب ، (دط) ، القاهرة ، 2000 ، ص 167 .

21 السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 438 .

22 ينظر : الحبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي ، عناصر استقصاء نظري ، ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته ج1 ، ص 65 .

23ينظر : المرجع نفسه ، ص68 .

24ينظر : المرجع نفسه ، ص 67، 68، 69 .

25ينظر : المرجع نفسه ، ص 87، 88 ، 86 .

26ينظر : المرجع نفسه ، ص 92 .

27ينظر : المرجع نفسه ، ص 256 ، 255 .

28ابن وهب ، البرهان في وجوه القرآن ، تقديم وتحقيق : حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، 1969 ، ص 176 .

29ابن وهب ، المرجع نفسه ، ص 180 .

30ينظر : ابن وهب ، المرجع نفسه ، ص 188 .192 .

*** *** ***